

نفحات القرآن

[184] أخرى فهو يؤدي إلى موازنة الحرارة والبرودة والرطوبة على سطح الأرض، ويمنح حياة الإنسان والحيوانات والنباتات نظاماً وترتيباً، وكل منها آية من آيات الله وبرهانه من براهينه. وفي مكان آخر يُقسم بالقمر (كَلَّا وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَرَ وَالصُّبْحَ إِذَا اسْفَرَ) ثم يضيف: إِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامُ تُنْبِئُ عَنْ تَحْذِيرٍ فِي أَمْرِ الْمَعَادِ فيقول: "إِنَّ أَحْدَاثَ الْقِيَامَةِ وَجَهَنَّمَ مِنْ عَظِيمَاتِ الْأُمُورِ (إِنَّهَا لِأَحْدَى الْكُبَرَى)" (1). * * * وجاءت الآية العاشرة الأخيرة بالحديث عن نعمة وجود النجوم والنظام الدقيق الذي يحكمها فيقول: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) ثم يضيف: (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). لقد كانت النجوم دائماً وعلى مدى مراحل التاريخ من أهم وسائل إرشاد الإنسان في الليالي المظلمة، حيث ينجو بمساعدتها في أسفاره البحرية والبرية، حتى أن بعض العلماء يظنون أن الطيور المهاجرة، أي الطيور التي تقطع آلاف الكيلو مترات في السنة أحياناً، وبعضها يستمر في طيرانه ليلاً ونهاراً بلا توقف، تحدد طريقها نهاراً عن طريق الشمس، وليلاً عن طريق نجوم السماء، ولهذا فإنها تتوقف مؤقتاً إذا كان الجو غائماً تماماً حتى تنكشف الغيوم وتظهر السماء والنجوم! والعجب أمكانية تحديد فصول السنة أيضاً من خلال النجوم. على أية حال، فإن هذه الآية تُلفتُ نظر كلِّ المفكرين إلى هذه المسألة وهي أن حركة النجوم في السماء واستقرارها في هذا الميدان العظيم تتمتع بنظام وحساب خاص، وإلا لما استطاع أيُّ أحد العثور على طريقه في ظلمة الليل من دونها. وهذا النظام يدل على أن الخالق المدبر قد خطَّط له بكل حكمة، ولهذا فإن النظام السائد على نجوم السماء يُحررنا من ظلمات الشرك والكفر أيضاً! ومع تطور علم الفلك، فقد افلح العلماء في تقدير سرعة الكثير من كواكب السماء، وحجمها ومسافاتها وبقية خصائصها، وتوصلوا عن هذا الطريق إلى حقائق جديدة عن هذا النظام العظيم. صحيحٌ قد تم اختراع آلات ووسائل دقيقة يستطيع الإنسان بمساعدتها أن يعثر على طريقة في البر والبحر، ولكن لا ينبغي نسيان عدم إمكانية استخدام جميع المسافرين لهذه الوسائل العلمية المتنوعة، إضافة إلى حدوث الخلل في هذه المعدات والآلات الدقيقة أحياناً مما يسبب الانحراف عن الطريق، فإذا كان الإنسان مطلعاً على مواقع ومواضع النجوم يستطيع من خلال ذلك إصلاح أخطاء هذه المعدات. ورد في بعض الروايات تفسير آخر لهذه الآية عن أهل البيت ((عليهم السلام)) يمكن أن يُعدَّ جزءاً من المعاني الباطنية والثانوية لهذه الآية،

وذلك ان المقصود من "النجوم" هم القادةُ الربانيُّون والائمة المعصومون الذين ينجو
الناسُ بهم من ظلمات الحياة كما